﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [الأنعام: 89]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بين تفضيلِ المذكورينَ مِنَ الأنبياءِ والصَّالحينَ، وبيانِ ما فُضِّلوا بِهِ

بعد أنْ ذكرَ جلَّ شأنُه تفضيلَ من ذكرَ منَ الأنبياءِ والصَّالحينَ، بيَّنَ بأيِّ شيءٍ فضَّلَهم، فقال عزَّ مِن قائلٍ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾، فلمَّا "ذكرَ أنَّه تعالى فضَّلَهم واجتباهم وهَدَاهم ذكرَ ما فُضِّلوا به"[1]، واسمُ الإشارةِ رابطٌ للآياتِ بما قبلَها، فهو يشيرُ إلى الأنبياءِ الثَّمانيةَ عشَرَ الَّذين سبقَ ذكرُهم، كما ذكرَ الفخرُ الرَّازيُّ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: كتبَ الكتابَ يكتبُهُ كتبًا؛ إذا جمعَ حروفَه، وأصلُ الكَتبِ: ضمُّكَ الشَّيءَ إلى الشَّيءِ، وكتبتُ المزادةَ وغيرها، أكتبُها كتبًا، إذا خرزتُها[2]، واكتتبتُ الكتابَ؛ أي: كتبتُه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾ [الفرقان: 5][3]، والمرادُ بالكتابِ هنا الجنسُ؛ أي: جنسُ الكتبِ الإلهيَّة، يعني: الكتبَ الَّتي أنزلَها اللّٰهُ عليهم: التَّوراةَ والإنجيلَ والزَّبورَ، وصُحُفَ إبراهيمَ وموسى، وكتبًا أنزلَها اللّٰهُ تعالى كثيرة، وهو أعلمُ بها[4].

2) ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾: (حكم) أصلٌ يدلُّ على المَنعِ، وأوَّلُ ذلك الحُكمُ،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/577، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2580، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 8/450.
(2) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (كتب).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (كتب).
(4) الواحديّ، البسيط: 8/265، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/577.

وهو المنعُ منَ الظُّلمِ، والحُكْمُ بالشَّيءِ: أن تقضيَ بأنَّه كذا، أو ليس بكذا، سواءٌ ألزمتَ ذلك غيرهُ، أم لم تلزمْهُ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ﴾[1]، وتقولُ: حَكَّمتُ فلانًا تَحكِيمًا: مَنَعتُهُ عمَّا يُريدُ، وحُكِّمَ فلانٌ في كَذَا؛ إذا جُعِلَ أمرُهُ إليهِ، والمُحَكَّمُ: المُجَرِّبُ المَنسُوبُ إلى الحكمةِ، قال طَرَفةُ:

لَيتَ المُحَكَّمَ وَالمَوْعُوظَ صَوْتُكُمَا ***تَحْتَ التُّرَابِ إِذَا مَا البَاطِلُ انْكَشَفَا[2]

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾؛ أي: "فصلَ الأمرِ بينَ النَّاسِ بالحقِّ أو الحكمةِ، وهي مَعرفةُ حقائقِ الأشياءِ"[3].

3) ﴿وَكَّلْنَا﴾: (وكَّل) أصلٌ يدلُّ على اعتمادِ غيرِكَ في أمرِكَ، والتَّوكِيلُ: أن تعتمدَ على غيرِكَ، وتجعلَهُ نائبًا عنك[4]، ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾؛ أي: أرصَدنا للإيمانِ بها[5]، وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾، قالَ الزَّجّاجُ: "قيل: عَنَى بالقومِ هنا: الأنبياء ﷺ، الَّذين جرى ذكرُهم؛ آمنوا بما أتى به النَّبيُّ ﷺ في وقتِ مبعثِهم"[6]، "ومعنى توكيلِهم بها: أنَّهم وُفِّقوا للإيمانِ بها، والقيامِ بحقوقها، كما يُوكَّلُ الرَّجلُ بالشَّيءِ ليقومَ به، ويتعهَّدَه ويحافظَ عليه"[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبرُ اللهُ تعالى أنَّ أولئك الأنبياءَ المذكورينَ "هم الَّذين أعطيناهُم الكتبَ، وأعطيناهُم الحكمةَ، وأعطيناهم النُّبوَّةَ، فإن يكفر قومُك بما أعطيناهم من هذه الثَّلاثةِ، فقد هيَّأنا لها، وأرصَدنا

أمـانـةُ الـوحـي والـبـلاغِ أُوتِيَـهـا الأنبياءُ الأبـرارُ، وتـحـمَّـلَـهـا الصَّحابةُ الأخيارُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (حكم).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حكم).
(3) الآلوسّي، روح المعاني: 4/204.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (وكل).
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/577.
(6) ابن سيده، المحكم: (قمو).
(7) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/43.

قومًا ليسُوا بكافرينَ بها، بل هم مُؤمنونَ مُستمسكونَ بها؛ وهم المهاجرونَ والأنصارُ والَّذين اتَّبعوهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين"[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

براعةُ الاستئنافِ الابتدائيِّ في الآية:

للتَّنويهِ بذكرِ المناقبِ معانٍ تأسيسيَّةٌ ذاتُ قيمةٍ وأهمِّيَّةٍ

قولُه جلَّ شأنُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾، لمّا ذكرَ تعالى أنَّه فضَّلَهم واجتباهم وهداهم استأنفَ هنا تعقيبًا على ذلك، فهو "استئنافٌ ابتدائيٌّ للتَّنويهِ بهم"[2]، وما أوتوه داخلٌ في ملامحِ التَّكريمِ الَّتي أوتوها؛ أوَّلها: الكتابُ، وهو المنهجُ الَّذي أنزلَهُ اللهُ لهدايةِ البشرِ، وثانيها: الحكمُ، وهو ما أعطاهُ اللهُ لبعضِهم منَ السَّيطرةِ والغلبةِ، وثالثها: النُّبوَّةُ؛ بحيثُ جعلَهم نماذجَ سلوكيَّةً للبشرِ، وذلك منتهى التَّكريمِ، وغايةُ الاصطفاءِ الحكيمِ[3].

فائدةُ الإخبارِ عنهم بالإشارةِ في قولِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

تعظيمُ المقاماتِ بحسبِ العطاءاتِ

في قولِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أشارَ تعالى إلى الأنبياءِ المذكورين سابقًا مِنَ "الأنبياءِ الثَّمانيةَ عشَرَ، والمَعطُوفِين عَلَيهم ﷺ، باعتبارِ اتِّصافِهم بِما ذُكِرَ منَ الهدايةِ وغَيرِها منَ النُّعُوتِ الجَليلةِ الثَّابتةِ لَهم"[4]، وإنَّما عبَّرَ عنهم باسمِ الإشارةِ؛ "لزيادةِ الاعتناءِ بتَمييزِهِم وإخطارِ سيرتِهم في الأذهانِ"[5]، وقد آثرَ التَّعبيرَ باسمِ الإشارةِ الدَّالِّ على البُعدِ، لمَا فيهِ منَ "الإيذانِ بعُلُوِّ طبقتِهِم وبُعدِ مَنزلَتِهم في الفَضلِ والشَّرفِ"[6].

(1) جماعة منَ العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/138.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/352.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 6/3774.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/159، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/54، والآلوسّي، روح المعاني: 4/204.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/352، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2580.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/159.

بلاغةُ القصرِ بطريقِ تعريفِ طرفي الإسنادِ:

في قولِه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾، جاءَ طرفا الإسنادِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ معرفتين للقصرِ؛ للدَّلالةِ على أنَّ الَّذين أوتوا تلك المكرماتِ، هم المذكورون المشارُ إليهم دونَ سواهم، والغايةُ من ذلك بيانُ فضيلتِهم، وهو من قصرِ صفةٍ على موصوفٍ، فقصُرَت تلك الصِّفاتُ عليهم؛ وفي التَّخصيصِ تشريفٌ وتكريمٌ.

الاصطفاءُ بالوحي عطاءٌ مخصوصٌ، لا يكونُ إلَّا لمخصوصٍ

دلالةُ التَّعبيرِ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ دونَ (من):

في: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ﴾ استعملَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ عنهم بـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ لأنَّ مَن أُوتي الكتابَ، إنَّما هم المعهودونَ بالذِّكرِ، وهم الأنبياءُ الَّذين سبقَ ذكرُهم، وإيتاءُ الكتابِ ليس عامًّا ليُعبَّرَ عنه بـ (مَن)؛ لمَا في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من دلالةٍ على التَّعيينِ والعهدِ؛ فالتَّعبيرُ بالاسمِ الموصولِ المخصوصِ ملائمٌ للتَّخصيصِ الَّذي تجري عليه العبارةُ.

المعهودونَ المعروفونَ يُعبَّرُ عنهم بالموصولِ (الَّذين)

فائدةُ جملةِ الصِّلةِ في قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾، عبَّرَ بالموصولِ، والغرضُ من ذلك إظهارُ تكريمِهم، المعبَّر عنه بالجملةِ في صلةِ الموصولِ، فأشارَ إلى تكريمِهم بما ذَكرَ في حيِّزِ الصِّلةِ؛ وفي الإسنادِ إلى ضميرِ العظَمةِ زيادةٌ في قدرِ العطاءِ؛ "أي: (بعظمتِنا)"[1].

مناطُ التَّخصيصِ في العطاءِ المخصوصِ

إيثارُ التَّعبيرِ بإيتاءِ الكتابِ دونَ إنزالِه:

آثرَ السِّياقُ التَّعبيرَ بالإيتاءِ دونَ التَّنزيلِ، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ لأنَّ التَّنزيلَ يخصُّ عددًا محدودًا منهم، والإيتاءُ يشملُ من لم ينزلْ عليه كتابٌ منهم، فآثرَهُ؛ لأنَّ الإيتاءَ "أعمُّ من أن يكونَ ذلك بالإنزالِ ابتداءً أو بالإيراثِ بقاءً، فإنَّ

اصطفاءُ الأعمِّ الأشملِ مُناسبٌ عِظَمَ العطاءِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/181.

المَذكُورِينَ لم يُنْزَلْ على كُلٍّ واحدٍ منهم كتابٌ مُعيَّنٌ"[1]، ومعنى ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾: "أنَّهم أوتوا علمَه، وعلَّمُوه، ونشرُوه، وتوارثوا ما اشتملَ عليهِ؛ فيشملُ الَّذين أوتوه مَن نزلَ عليهم، ومن جاؤوا داعينَ إلى ما فيهِ، والتَّكليفات الَّتي اشتملَ عليها؛ كبعض الأنبياءِ الَّذين لم ينزلْ عليهم كتابٌ، ولكن بيَّنوا الكتابَ الّذي جاؤوا لبيانِهِ، كأيُّوبَ ويوسفَ، وسليمانَ، ويشملُ الَّذين أوتوا مَن عملُوا به، وأقامُوا دعائمَه مِن أتباعِ النَّبيِّينَ المُخلصينَ"[2] فقد عبَّرَ القرآنُ بالأعمِّ الأشملِ، وفي كلِّ ذلك تعظيمٌ للعطاءِ.

وجهُ إفرادِ النُّبوَّةِ بالذِّكرِ في قولِهِ: ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾:

في إفـرادِ النُّبوَّةِ تصـريحٌ وبيـانٌ للشَّرفِ

في قولِهِ جلَّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾، ذكرُ إيتاءِ الكتابِ يدلُّ على النُّبوَّةِ، فأفردَ ذكرَها مع أنَّها مُضمَّنةٌ بما سبقَ "لشرفِها باتِّصالها باللهِ تعالى وللتَّصريحِ بالأنبياءِ الَّذين لم ينزلْ عليهم كتابٌ، ولبيانِ مكانِ العلمِ الَّذي أوتوه، واتَّبعوه، وأنَّه عنِ اللهِ العليِّ الحكيمِ، وليرتِّبَ الحكمَ على الكفرِ بها؛ إذ كانَ منَ العربِ مَن كفرَ بالنُّبوَّةِ، وقالَ: ما أنزلَ اللهُ على بشرٍ من شيءٍ"[3].

إيثارُ ذكرِ النُّبوَّةِ على الرِّسالةِ في قولِهِ: ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾:

كلُّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولًا

آثرَ تعالى أن يذكرَ النُّبوَّةَ دونَ الرِّسالةِ فلم يقُل: (آتيناهم الكتابَ والحكمَ والرِّسالةَ)؛ لأنَّه "ذكرَ الأعمَّ في النَّظمِ الكريمِ؛ لأنَّ بعضَ مَن دخلَ في عمومِ آبائِهم وذرِّيَّاتِهم، ليسوا برُسُلٍ"[4].

دلالةُ ذكرِ ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ دونَ سواها على هذا التَّرتيبِ:

قولُه جلَّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾، ذكرَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/159، والقونويّ، حاشية على البيضاويّ: 8/182، والآلوسّي، روح المعاني: 4/204.

(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/55، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2580.

(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2580 - 2581.

(4) الآلوسّي، روح المعاني: 4/204.

التَّخصيصُ والتَّرتيبُ والعطفُ دلالةٌ على مقاماتِ التَّفضيلِ

هذه الثَّلاثةَ دونَ سواها؛ تناسبًا مع المذكورين منَ السَّادةِ النَّبيِّينَ؛ فمنهم مَن أُوتيَ كتابًا كإبراهيمَ وداودَ وموسى وعيسى ﷺ، وهو أعلى مراتبِ التَّفضيلِ لذا ذُكِرَ أوَّلًا، ومنهم مَن أُوتيَ حكمًا كداودَ وسليمانَ ﷺ، ومنهم مَن أُوتي النُّبوَّةَ، وهم مَن بقيَ منَ الأنبياءِ ﷺ، وهو عطاءٌ للمذكورين أجمعين، فقدَّمَ الأخصَّ فالأخصَّ، وأخَّرَ الأعمَّ، وجاءَت معطوفةً بالواو تنبيهًا على أنَّ كلَّ واحدٍ منها عطاءٌ لوحدِهِ يغايرُ غيرَهُ "فقولُه: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ إشارةٌ إلى أنَّه تعالى أعطاهم العلمَ الكثيرَ، وقولُهُ: ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾ إشارةٌ إلى أنَّه تعالى جعلَهُم حكَّامًا على النَّاس نافِذِي الحُكمِ فيهم بحسبِ الظَّاهرِ، وقولُهُ: ﴿وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾ إشارةٌ إلى المرتبةِ الثَّالثةِ، وهي الدَّرجةُ العاليَةُ الرَّفيعةُ الشَّريفةُ"[1].

دلالةُ الفاءِ في عطفِ ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ﴾:

التَّوحيدُ محورُ المعنى في السُّورةِ، فيعودُ إليه النَّظمُ كلَّما بَعُدَ الكلامُ

عطفَ جملةَ الشَّرطِ ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ﴾ على ما قبلَها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بالفاءِ "للتَّنبيهِ على ترتُّبِ ما بعدَها لِمَا قبلَها"[2]؛ فكُفْرُ مُشركي العربِ بالنُّبوَّةِ لا يضرُّ شأنَ النُّبوَّةِ؛ إذ إنَّها مرتبةٌ ساميةٌ يؤمنُ بها أهلُ الفهمِ والاعتبارِ، وفي ذلك يقولُ ابنُ عاشور رحمه الله تعالى: "والفاءُ في قولِهِ: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ﴾ عاطِفةٌ جُملةَ الشَّرطِ على جُملةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، عُقِّبَت بجملةِ الشَّرطِ، وفُرِّعَت عَلَيها؛ لأنَّ الغَرضَ منَ الجملِ السَّابقةِ من قولِهِ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو تَشويهُ أمرِ الشِّركِ بالاستدلالِ على فسادِهِ، بنبذِ أهلِ الفضلِ والخيرِ إيَّاه، فكانَ للفاءِ العاطفةِ عَقِبَ ذلك مَوقِعٌ بديعٌ مِن إحكامِ نَظمِ الكلامِ"[3].

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/55.
(2) القونويّ، حاشية على البيضاويّ: 8/182.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/353.

فائدةُ التَّعبيرِ بـ (إنْ) الشَّرطيَّة دونَ (إذا):

الـكـفـرُ غـيرُ جديرٍ بأن يكونَ مقطوعًا به، وفي ذلكَ توبيخٌ لهم

في قولِهِ تعالى: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾، عبَّرَ بأداةِ التَّعليقِ الَّتي تفيدُ الشَّكَّ في كفرِهِم؛ لأنَّ الأصلَ ألَّا يكفروا؛ فإنَّ الكفرَ غيرُ جديرٍ بأن يكونَ منَ المقطوعِ به؛ وفي ذلك توبيخٌ لهم، فعبَّرَ بصيغةِ "الشَّكِّ مع أنَّ كفرَهم مُتحقِّقٌ؛ لأنَّ المقامَ لاشتمالِهِ على ما يقلعُ الشَّرط عن أصلِهِ، لا يصلحُ إلَّا لفرضِهِ فيكون للتَّوبيخ"[1].

إيثارُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ في: ﴿يَكۡفُرۡ﴾:

التَّعبيرُ بالفعلِ المضارعِ دلالةٌ على تجدُّدِ كفرِهم

آثرَ التَّعبيرَ بالفعلِ المضارعِ في قولِهِ: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ للدَّلالةِ على الحاضرِ والمستقبلِ، ولو قيل: (كفرَ بها هؤلاءِ) لدلَّ على أنَّه يتناولُ كُفرَ مَن كفر؛ فعبَّر بالمضارعِ للدَّلالةِ على استمرارِ كفرِهم وتجدُّدِهِ، ودلَّ كذلك على أنَّ الحكمَ مُستمرٌّ في كلِّ زمانٍ؛ فالكفرُ لا ينقطعُ في شأنِ المذكوراتِ، وكذلك ما عقَّبَ بهِ في جوابِ الشَّرطِ من توكيلٍ بالهدايةِ؛ فإنَّ هديَه تعالى لا ينقطعُ.

دلالةُ الباءاتِ والإضماراتِ:

تمكُّنُ الكافرين منَ الكفرِ، يقابلُه تمكينُ المؤمنين منَ الهدايةِ

في قولِهِ: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا﴾، و﴿وَكَّلۡنَا بِهَا﴾، و﴿لَّيۡسُواْ بِهَا﴾ دخلَت الباءُ على ضميرِ المذكوراتِ، فالهاءُ "تعودُ على الثَّلاثة الأشياءِ، وهي: الكتابُ والحكمُ والنُّبوَّةُ"[2]؛ للدَّلالةِ على شدَّةِ ملابسةِ الكفرِ والتصاقِهِ بها، فإنَّ الحكمَ على شيءٍ، بأنَّ الكفرَ حلَّ به، يدلُّ على شدَّةِ الكفرِ، وكذا التَّوكيلُ، والتَّوكيلُ هنا معناهُ: التَّوفيقُ بالشَّيءِ يحيلُ الموكَّلَ إلى شدَّةِ التَّمكُّنِ على ما أُوكِلَ بهِ، وهذا يدلُّ على قوَّةِ تعهُّدِهم بأمرِ المذكوراتِ، وقد تكرَّرَ الإضمارُ ثلاثَ مرَّاتٍ في سياقِ الحديثِ عنها؛ تأكيدًا لشأنِها واهتمامًا بها، فإنَّ ما كانَ مهمًّا للسِّياق، فإنَّ ذكرَهُ يتكرَّرُ في النَّصِّ تنويهًا بتلك الأهمِّيَّةِ وتنبيهًا عليها.

(1) القونويّ، حاشية على البيضاويّ: 8/182.
(2) ابن عادل، اللّباب: 8/269.

دلالةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ:

قدَّم الجارَّ والمجرورَ على الفاعل في قولِه: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾، والأصلُ: (إن يكفرْ هؤلاءِ بها)؛ للاهتمامِ "بالمُقدَّم والتَّشويقِ إلى المُؤَخَّرِ"[1]، فقدَّم ضميرَ النُّبوَّةِ والمذكوراتِ اهتمامًا بها؛ إذ التَّوبيخُ إنَّما جاءَ بسببِ الكفرِ بها، لا بسببِ أنَّهم هم الَّذين كفروا.

الأصلُ أن يذكرَ النُّبوَّةَ الَّتي بسببِ كفرِهم بها نالوا التَّوبيخَ

دلالةُ الإشارةِ إلى غيرِ مذكورٍ في قولِهِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾:

المرادُ باسمِ الإشارةِ في قولِه: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ "كفَّارُ قريشٍ، وكلُّ كافرٍ في ذلك العصر"[2]، والتَّعبيرُ عنهم بالإشارة وهم غيرُ مذكورين، فهي إشارةٌ "إلى حاضرٍ في أذهانِ السَّامعينَ، وقد تقصَّيتُ مَواقعَ آيِ القرآنِ، فوجدتُهُ يعبِّرُ عن مُشركي قُريشٍ كثيرًا، بكلمةِ (هؤلاء)، كقوله: ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ﴾ [الزّخرف: 29]، ولم أرَ مَن نبَّهَ عَليه مِن قبلُ"[3]، فقدِ اشتهروا بأنَّهم هم "الَّذين أنكروا نبوَّتَه، وحاربوا رسالتَه، وآذَوْه هو والمستضعفينَ منَ المؤمنينَ، وصابرَهُمْ حتَّى كانتِ الهجرة؛ وهذه السُّورةُ مكيَّةٌ، فتعيَّنتِ الإشارةُ إلى مَن ناوؤوا الرَّسولَ ﷺ"[4]، وقد عبَّرَ عنِ الكافرين باسمِ الإشارةِ تقليلًا مِن شأنِهم، معرضًا عنِ التَّصريحِ بذكرِهم تحقيرًا لهم[5].

تحقيرُ شأنِ كلِّ الكفَّارِ بالإعراضِ عن خطابِهم بعنوانِهم

بلاغةُ الإيجازِ بحذفِ جوابِ الشَّرطِ:

الشَّرطُ في قولِه تعالى: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ محذوفُ الجوابِ، حيثُ "يدلُّ عليه المذكورُ؛ أي: فإن يكفُرْ بها هؤلاءِ، فلا اعتدادَ به أصلًا، فقد وفَّقْنا للإيمان بها قومًا فِخامًا، ليسُوا بكافرينَ بها"[6]، فلمَّا دلَّ عليه الكلامُ حَذَفَه

التَّعويلُ على دلالةِ السِّياقِ شحذٌ للتَّدبُّرِ، واعتدادٌ بعقلِ المخاطَبِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/159.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/577.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/353.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2581.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/182.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/160.

إيجازًا، والإيجازُ لبُّ البلاغةِ، وكأنَّ الحذفَ إشارةٌ إلى عدمِ الاعتدادِ بهم في الواقعِ، كما لم يعتدَّ بهم في الكلامِ، وإنَّما لم يكنْ قولُهُ جلَّ شأنُه: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ جوابًا للشَّرطِ؛ لأنَّ التَّوكيلَ ليس هو السَّببَ في كفرِهم، وليس كفرُهم هو السَّببَ في توكيلِ الإيمانِ بها إلى قومٍ آخرين.

دلالةُ دخولِ الفاءِ في قولِهِ: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾:

خطابُ التَّعليلِ يمتِّعُ العقولَ، ويقوِّي الإقناعَ

في قولِهِ جلَّ شأنُه: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ الفاءُ سببيَّةٌ تبيِّنُ علَّةَ جوابِ الشَّرطِ المحذوفِ الَّذي تقديره: إن يكفروا فلا اعتدادَ بكفرِهم، أو: فلا يضرُّك كفرُهم، فأرادَ بيانَ علَّةِ انتفاءِ ضررِهم، فقال: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾، والمعنى: "إن يكفُرِ المشركونَ بنبوءَتِكَ، ونبوءَةِ مَن قبلَكَ، فلا يضُرُّكَ كُفرُهم؛ لأنَّا قد وفَّقْنا قومًا مُؤمنينَ للإيمانِ بكَ وبهِم"[1].

دلالةُ التَّعبيرِ في قولِهِ: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا﴾:

حديثُ البشارةِ يشرحُ الصُّدورَ، ويسحقُ المغرورَ

في دخولِ (قد) على الفعلِ في قولِهِ جلَّ شأنُه: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ دلالةٌ على تأكيدِه، وذلك "تبشيرٌ للنَّبيِّ ﷺ، بأنَّ هذا سينتشرُ بينَ النَّاسِ، وستخالفُ فيه الأقوامُ، ولن يكونَ مقصورًا على العربِ، بل يتجاوزُهم إلى الفرسِ والرُّومانِ، والشَّامِ ومصرَ، وسيعتنقُهُ الأبيضُ والأسودُ، وكلُّ مَن له في الدَّعوةِ إليه فضلٌ عظيمٌ، وأكَّدَ اللهُ ﷻ ذلك بـ (قد)"[2]؛ وفي الآيةِ أيضًا تهديدٌ للكافرين وتخييبٌ لآمالِهم.

بلاغةُ الاستعارةِ في قولِهِ: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾:

تصويرُ المعنى يحقِّقُ البشارةَ ويؤكِّدُها

التَّوكيلُ "هنا استعارةٌ للتَّوفيقِ للإيمانِ بها، والقيامِ بحُقُوقِها، كما يُوكَّلُ الرَّجلُ بالشَّيءِ ليقومَ به، ويتعهَّدَهُ ويُحافظَ عَلَيه"[3]، وفي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/354.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2581 - 2582.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/577.

ذلك منَ الدِّلالةِ على الرِّعايةِ والحفظِ ما فيه، والمعنى ﴿وَكَّلْنَا﴾: "عهدنا إلى قومٍ من بعدِ كفرِكم يحفظونها، ويصونونها، وينقلونها للأخلافِ من بعدِهم، جيلًا بعدَ جيلٍ، فيقالُ: وكَّلتُ فلانًا بهذا الأمرِ؛ أي: عهدتُ به إليه، يقومُ عليه، ويُحافظُ"[1]، وقد عظَّمَ التَّوكيلَ بإسنادِهِ إليه تعالى بضميرِ التَّعظيمِ؛ أي: "لما لنا منَ العظمةِ"[2]، وفيه بيانٌ عن مقامِ الموكَّلِ.

فائدةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ في قولِهِ: ﴿وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾:

قدَّم الجارَّ والمجرورَ على المفعولِ به، والأصل: (وكَّلنا قومًا بها)؛ للاهتمامِ "بالمُقدَّمِ والتَّشويقِ إلى المُؤخَّرِ، ولأنَّ فيه نوعَ طُولٍ، ربَّما يؤدِّي تقديمُه إلى الإخلالِ بتجاوبِ النَّظمِ الكريمِ، أو إلى الفصلِ بين الصِّفةِ والموصوفِ"[3]، فقدَّمَ ضميرَ النُّبوَّةِ اهتمامًا بها، فإنَّ التَّوكيلَ يتعلَّقُ بالنُّبوَّةِ بالدَّرجةِ الأساس.

النُّبوَّةُ جديرةٌ بالتَّقديمِ؛ لأهمِّيَّتِها في مصيرِ البشريَّةِ

إيثارُ التَّعبيرِ بـ ﴿قَوْمًا﴾ مُنكَّرةً دونَ (ناسٍ) أو (فئةٍ):

آثرَ التَّعبيرَ عنِ المؤمنينَ بها بأنَّهم (قوم) لِمَا فيه من دلالةٍ على أنَّهم جماعةٌ يقومونَ قومةً واحدةً؛ لشدَّةِ بأسِهم، فقولُه تعالى: ﴿بِهَا قَوْمًا﴾؛ "أي: ذوي قُوَّةٍ على القيامِ بالأمورِ بالإيمانِ بها، والحفظِ لحقوقِها"[4] وقد آثرَ النَّظمُ الكريمُ أن يعبِّرَ بصيغةِ التَّنكيرِ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾؛ ليكونَ دالًّا على العمومِ، كما أنَّه يدلُّ على تفخيمِ شأنِهم[5]، وفيه "تبشيرٌ للنَّبيِّ ﷺ بأنَّ هذا سينتشرُ بينَ النَّاسِ، وستخالفُ فيه الأقوامُ، ولن يكونَ

التَّرابطُ والكثرةُ تزيدُ البشارةَ حُسنًا

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2581، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/353 - 354.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/182.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/160.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/182.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/578، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/160، والآلوسّي، روح المعاني: 4/205.

مقصورًا على العربِ، بل يتجاوزُهم إلى الفرسِ والرُّومانِ والشَّامِ ومصرَ، وسيعتنقُه الأبيضُ والأسودُ"[1].

بلاغةُ الوصفِ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِهِ: ﴿لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾:

في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾، جاءَ التَّقييدُ بالوصفِ "للدَّلالة على أنَّهم سارعوا إلى الإيمانِ بها، بمجرَّدِ دعوتِهم إلى ذلك؛ فلذلك جِيءَ في وصفِهم بالجملةِ الاسميَّةِ المؤلَّفةِ من اسم (ليس) وخبرِهِ"[2]؛ وقد أكَّدَ نفيَ كفرِهم بالنُّبوَّةِ، بالجملةِ الاسميَّةِ للدَّلالةِ على أنَّهم ليسوا بكافرينَ بها "في وقتٍ منَ الأوقاتِ، بل مُستمرُّونَ على الإيمانِ بها؛ فإنَّ الجملةَ الاسميَّةَ الإيجابيَّةَ، كما تفيدُ دوامَ الثُّبُوتِ، كذلك السَّلبيَّةُ، تُفيدُ دوامَ النَّفيِ بمعونةِ المَقامِ، لا نَفيَ الدَّوامِ"[3]، وتأكيدُ نفي الكفرِ عنهم يدلُّ على تأكيدِ "إيمانِ أولئك الَّذين سينصرونَها، بأنَّهم ليسوا بها بكافرينَ، فنفى عنهم الكفرَ نفيًا مُؤكَّدًا، مُستغرقًا شاملًا"[4]، وقد دلَّتِ الباءُ في قولِهِ: ﴿بِكَٰفِرِينَ﴾ على مزيدِ تأكيدِ ذلك النَّفي"[5]، وقدَّمَ الجارَّ والمجرورَ، وهو ﴿بِهَا﴾ على ﴿بِكَٰفِرِينَ﴾ ؛ للاهتمام، والتَّنبيهِ"[6]، كما أنَّ تأخيرَ ﴿بِهَا﴾ سيفوِّتُ التَّوافقَ في الفاصلةِ، فقُدِّمَت محافظةً على الفواصل[7].

سرعةُ الاستجابةِ والثَّبات عليها، تزيدُ البشارةَ بهاءً، والتَّوبيخَ لذعًا

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2581 - 2582.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/354.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/159، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 8/459.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2582، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/354.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/43، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/318.
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2581.
(7) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/160، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/354.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»